الأسس المنهجية لمدارس الأدب المقارن العالمية

المدرس المساعد
هادي رزاق الخزرجي
الاستاذ الدكتور
علي كاطع خلف
جامعة الكوفة - كلية الآداب

The Methodological Basis of International Comparative Literature Schools

Assistant lecturer. Hadi Razaq Al-Khazraji
Prof. Dr. Ali Gatea khalaf
University of Kufa - Faculty of Arts

الخلاصة :

إن مناهج الأدب المقارن تكون في عملية تحول وانتقالات وفاقاً لما تمر به من ظروف وحيثيات متنوعة، منها ما يجد تربة خصبة لنموه وتجديده، ومنها ما يجعله راكداً على حال واحد، ونعلم أن المنهج هو صلب هوية الأدب المقارن قياساً إلى أساسه الفكري ورؤيته المستقبلية، "وكما خرج الأدب المقارن من معطف التاريخ الأدبي، ها هي حقولٌ معرفية مستجدة تخرج من معطفه! فيبدو الأدب المقارن أمام اختيارين لا ثالث لهما: إما أن يذوب في الدراسات الثقافية ودراسات ما بعد الكولونيالية ودراسات الترجمة وغيرها، أو يبحث له عن مراجعة صارمة لإبدالاته، من أجل التكيف مع متغيرات تتجاوزه وتتطلبه في الآن نفسه".(٤) وفي خضم ذلك كله نحاول استلالَ خيوط دقيقة ننسج بها ملامح منهج مقارنية عربية واعدة، ونضع نصب أعيننا ما يشير إليه د. عبد المطلب صالح، بقوله: "لم يكن تطور دراسات الأدب المقارن في الأدب العربي الحديث من العفوية إلى المنهجية،

الكلمات الدلالية الرئيسة: المدرسة الفرنسية؛ المدرسة الأمريكية؛ المدرسة السلافية؛ مقارنية عربية

Abstract:

The three schools have dominated the international comparative literature arena for a long time, some of which are still popular - the French school model - and strongly in the Arab region. This dominance appears to be due to the strength of methodological coherence reinforced by the intellectual basis, on the one hand, and the validity of those approaches to general application. On the other hand, by collecting the views of Arab critics in the field of comparative literature, we can take a critical view that establishes a special Arab comparative methodology by making the critique of each school an area in which Arab proposals are presented. It is clear that traditional schools are surrounded by a large number of proposals for methodological renewal globally, and this illustrates the link between new attempts in modern and contemporary contexts that are pressing for the conversion of comparative literature towards the emergence of other schools.

Key keywords

French school; American School; Slavic school; Arab comparison

المقدمة

يمثل المنهج التطبيقي قمةَ ما تصل إليه الجهود النظرية التي تنبثق من الأسس الفكرية. ومن المعلوم أن المناهج الكبرى في الأدب المقارن أشهر من أن يجري تعدادها أو توضيحها، وسوف تتضح معالمها من خلال بيان الاتجاهات الخاصة بالمنهج في آراء المقارنين العرب. وخلال ذلك سنحاول التقاطَ كل شاردة وواردة، خاصة برسم ملامح منهج مقارنية عربية تطبيقية. ويستند هذا إلى أن "الأدب المقارن عنوان عريض فضفاض يأوي تحت رايته دراساتٍ أدبية متباينة متعارضة، لا بل متضاربة في منطلقاتها وتوجهاتها وإجراءاتها ومناهجها وأهدافها. أما الوحدة التي يوحي بها مصطلح الإدب المقارن فهي وحدةٌ لا وجود لها إلا في الحدود الدنيا".(١) ذلك أن التجاذبات المختلفة تحيط بهوية الأدب المقارن المعاصر، بين مشروعات هوية كبرى مستندة إلى أساس فكري مثل المقارنية العربية، أو تجديد منهجي جزئي، وهذا كله يجعل أحد الباحثين يرى: "أن اتساع ميدان الأدب المقارن بمثل هذه الصورة، سيضيّع عليه فرصة أن يكون أكثر دقة ومنهجية، حيث ستكون أحكامه وفقاً لهذه الرؤية المتسعة نسبياً أبعد عن الدقة والمنهجية، وبهذا تضيع فرصةُ التوصل إلى حقائق أدبية مستجدة مستوحاة من طبيعة هذا التخصص".(٢) بل إن اتساعه ودخول تجديدات عليه من هنا وهناك ربما يجعل مقارناً عربياً كبيراً يصرّح: "ليس للأدب المقارن منهجية خاصة محصورة به، ولا حاجة به لذلك أصلاً، والقوانين الأساسية التي تحكم العمل الأدبي مثل جمع البيانات ونخلها وتفسيرها هي نفسها تنطبق هنا وتنطبق في كل مكان".(٣)

المدرسة الفرنسية

وهي الأولى والأشهر والأكثر انتشاراً... بما تعتمد من منهج التتبع التاريخي، وبيان الصلات عبر مسار التأثير والتأثر في مجال الاختلاف اللغوي

للنماذج الأدبية تحديداً، إذ يقول غويار: "إن الأدب المقارن هو تاريخ العلاقات الأدبية الدولية. من هنا فإن الباحث يتوقف عند الحدود اللغوية أو الوطنية ويراقب تبادل المواضيع والأفكار والكتب والمشاعر بين أدبين وأكثر"،(٧) استناداً إلى الأساس الفكري الخاص بتأكيد الهوية القومية. (٨) لقد اهتمت "المدرسة الفرنسية عبر دراسة التأثير اهتماماً عظيماً بعلاقة الدراسة التجريبية المتفحصة والتشابه، في ضمن الصلات الواقعية بين الأمم المتنوعة. إذ إن غايتها هي البحث عن التشابه بين أدبين أو ثلاثة من خلال دراسة مسلك الانتقال (Passing Route)". (٩) وقد أسست دراسة التأثير لتنوع فكري ومنهجي وموضوعي ثري؛ بذلك تكون المدرسة الفرنسية قد أرست "أساساً راسخاً لتكوين الأدب المقارن وتنميته بحزمة من النظريات والمناهج والطرق".(١٠)

إن تطبيق التأثير والتأثر قد رسم ملامح منهجية فرنسية، أخذتْ مساحة واسعة حتى صارت المدرسة الفرنسية الرائدة والأدب المقارن صنوين؛ "وعليه، لا تكون الدراسة من وجهة نظرنا مقارنة، بالمعنى الذي يعنيه هذا المصطلح في ميدان الأدب المقارن، إذا لم تقم على العلاقات وما ينشأ عنها من تأثير وتأثر بين الآداب القومية المختلفة".(١١) وهو ما جعل -بسبب ريادة هذا المنهج- كثيراً من المقارنين العرب يقلّدونه، "بعد أن تأسس الأدب المقارن عند العرب في منتصف القرن العشرين، سار في الغالب على وفق رؤية منهجية واحدة هي رؤية الاتجاه التاريخي، الذي ارتكز على التأثير والتأثر بالأساس".(١٢) وهذا تفضيل له أسبابه، أهمها أسبقية هذا المنهج وريادته، وكذلك هو الأقرب بمساره التحليلي إلى بيان أثر الأدب القومي العربي، بما يرضي تطلعات من يهتم بإبراز فضل العرب على غيرهم بالمسار التاريخي، يقول أحد المقارنين: "إن مثل هذه المقارنات ربما تكون مهمة ومفيدة، لكنها لا تدخل باب الأدب المقارن لافتقادها الصلة التاريخية".(١٣) ومن جهة أخرى

يلقى هذا الميل نحو المدرسة الفرنسية رداً عربياً آخر، لكنه يرد بالإدوات التاريخية نفسها: "إذا ما تذكر المرء الحضور الواسع للشرق ولا سيما الشرق العربي في الآداب الأوروبية قديمها ووسيطها وحديثها فإنه لا يسعه إلا أن يستغرب هذا التمركز المسرف حول الذات الذي أخذت المدرسة الفرنسية به نفسها".(١٤)

ويمكن لنا أن نجد كثيراً من الآراء المؤيدة لهذا المنهج مع ما يعتري تلك الآراء من محاولات لتكييفه عربياً، أو التخفيف من حدة التصريح بأهمية اتباعه وعدم الخروج عن مساره، "إن إجراء دراسات وبحوث مقارنية على أسس نظرية التأثير والتأثر يظل عملاً علمياً مشروعاً تماماً... وأكثر من ذلك، فإن نظرية التأثير والتأثر تحدد مسوغات قوية لتطبيقها في الدراسات الأدبية بالوطن العربي... ولكن هذا لا يعني أبداً التعصب لهذه النظرية أو تلك".(١٥) ولا شك في أن التوجه القومي العربي يستميل كل منهج يدعو إلى الهوية القومية في المقام الأول، مع عدم إغفال الجانب النقدي الذوقي، لكن الباحث نفسه لا يحدد مجالاً حتمياً ونهائياً لملامح الاتجاه المقلد للمنهج الفرنسي، "إن العمل التوثيقي في نظرية التأثير والتأثر مطلوب علمياً ومنهجياً، ولكنه لا يكون نهاية المقارنة إطلاقاً. ولم يزعم أي باحث فرنسي أن التوثيق غاية قصوى للمقارنة، وأن التذوق ليس له أي مجال في عملية المقارنة".(١٦)

ولا يمكن لنا أن نحكم على منهج ما بضرورة الزوال أو التجديد القسري لمجرد أنه بات منهجاً قديماً! ولكن من زاوية أخرى، يحق لنا -ونحن في صدد مناقشة نهضة مقارنية عربية خاصة- أن نستغرب من الميل الشديد لمنهج لا يكون بالضرورة معبراً عن طبيعة سياقنا الثقافي وتطلعاتنا، إذ لم يعد صحيحاً أن نستمر في التفاخر أمام العالم الأدبي عبر تطبيقات منهج المدرسة الفرنسية بإثبات هذا التأثير أو ذاك، فلقد أمسى هذا مسلكاً اتباعياً مستهلكاً، ولم يعد يلبي شرط النهضة العربية القومية، التي تحتاج إلى التوازن في المسار المنهجي

الذي لا يقتضي بالضرورة البحث عن علاقات التأثير، أو النبش في التراث الأدبي من أجل صراع إثبات الأولويات، أو المبالغة بالعزلة والتعصب القومي من جهة أخرى. إذ من الممكن أن تجري المقارنة بين أدبين بشرط الاختلاف اللغوي والتشابه الموضوعي، ولكن بعدم اشتراط صلة التأثير والتأثر والجانب التاريخي، مع التركيز في هدف إبراز المحتوى الأدبي والنقدي العربي عالمياً.

المدرسة الأمريكية

وهي ما جاءت لتمثل مرحلةً تالية بعد المنهج الفرنسي، داعية إلى التخلص من هيمنة المسار التاريخي، إذ يرى مؤلفا كتاب (الأدب المقارن) أن اتساع المدرسة الفرنسية وازدهارها عبر كتاب فان تيغم "قد انتهى بالكتاب -بالرغم من مميزاته- إلى أن يسلك في مرتبة الوثائق التاريخية".(١٧) ورفع عملية النقد الأدبي ضمن السياق المقارن، من خلال التركيز في عقد المقارنات والتذوق الأدبي، بل توسيع نطاق المقارنة بين الأدب والفنون الإبداعية الممكنة، ويذكر مؤلفا (نظرية الأدب): "ومهما كانت الصعوبات التي تعوق فكرة التاريخ الأدبي الشامل، فإنه من الأهمية بمكان أن نأخذ الأدب على أنه مجموع متكامل، وأن نتتبع نمو الأدب وتطوره بغض النظر عن الفروق اللغوية".(١٨) بل إن رينيه ويليك يحدد أفقاً إنسانياً واسعاً عبر المدرسة الأمريكية، بقوله: "عندما نفهم طبيعة الفن والشعر، وتفوقه على الموت البشري ومصيره، وخلق عالم جديد من الخيال، سوف يختفي الغرور الوطني".(١٩)

ولا شك في أن طبيعة التطبيقات المنهجية للمدرسة الأمريكية قد فرضتْ نفسها داخل ساحة المقارنة العربية بنسبة لا يُستهان بها، وذلك عبر مبدأ النظر في النقد الداخلي للنصوص أكثر من الاهتمام بالعلاقات التاريخية التأثرية، ويتضح هذا في أن: "الأدب المقارن حديثاً يختلف تماماً عن الأدب المقارن في القديم، من حيث الاهتمام الأكبر ليس بالتشابه أو الاختلاف، ولكن الاهتمام

بالمدخل النقدي عبر المدارس النقدية والثقافات الملائمة لكل نص أو عمل دون الآخر".(٢٠) وعبر هذا المدخل النقدي "تبدو العلاقة بين الرواية والسينما، وبين الأدب وعلم الاجتماع، وبينه وبين التكنولوجيا، وبين التاريخ والرواية والمسرح والشعر... إلخ واعدةً بالكثير من الرؤى والأفكار، وما يتصل بها من أدوات البحث والدراسة، من دون مصادرة حق استقلال كل حقل من هذه الحقول الثقافية والفنية لصالح حقلٍ آخر".(٢١) ونجد هذا عربياً في محاولات نقد رائد المقارنية العربي د. محمد غنيمي هلال، إذ يقول أحد نقاده: "أما النتيجة الثانية، فتتمثل في شحوب الناحية الفنية في هذا الكتاب، وذلك لأن د. غنيمي يركز في العلاقات التاريخية بين النصوص على حساب الناحية الفنية".(٢٢) وهي بلا شك الناحية التي ترسم مجالاً أكبر بين الأدب والفن بل الظاهرة الإبداعية كلها، وتمثل تجديداً نوعياً رصيناً عن مسار المدرسة الفرنسية، واستجابة لنسق ثقافي يقتضي ذلك التجديد، عبر الاهتمام بالأدوات التحليلية المنهجية، "ولعلني هنا أقرب إلى المدرسة الأمريكية في تأكيدها ما أسماه رينيه ويليك (كلية الظاهرة الأدبية)، أي بقدرة الأدب على تخطي حواجز التاريخ، وتحقيق التلاحم على أسس فنية".(٢٣) ويحدث هنا التنوع بمنهجٍ يدرس مختلف الصلات ومختلف الموضوعات. (٢٤) ويؤكد أحد الباحثين أهمية العثور على أوجه الشبه، وهذا يقتضي النظر من زاوية المنهج الأمريكي لا الفرنسي، "فالمقارنة تهدف في الدرجة الأولى إلى بيان أوجه التشابه، دعك من مظاهر التأثير والتأثر في العملين موضوع الدراسة".(٢٥) وهذا يقدم لنا اهتماماً في المستوى الثاني من المناهج التحليلية، ويوضّح نسبة ميل المقارنين العرب بتقليده، والسير عليه. ومع أن الاهتمام بمنهج ما ليس منقصة بحد ذاته، ولكنه يتحول شيئاً فشيئاً إلى هوية بديلة وراسخة، وربما ينتظر المقارنون المؤمنون بها تغييراً آخر يأتي من جهتها، بلا محاولة جادة لرسم صورة مقارنية خاصة. والذي نراه أن ما حصل في التجديد المقارني ضمن

المنهجية الأمريكية جعل نسبة من المقارنين العرب يؤمنون أكثر بتلقي الأصل والتجديد على ذلك الأصل من الخارج دائماً.

إن إجراء المقارنة بين الموضوعات يجب -خلال تصور المقارنية العربية- أن يبقى بحدود مقارنة الأجناس الأدبية المتماثلة فقط: الرواية/ الرواية، المسرح/ المسرح، الشعر/ الشعر... إلخ. أما التفكير ببقية التماثلات في أجناس إبداعية وفنية أخرى، فلكل نوع منها مسار تقابلي خاص؛ فلن تكون هنالك مقارنة بين الرواية/ الرسم، لأن تحديد عناصر موضوعات المقارنة وأنواعها يمكّن المقارنية العربية من التركيز المنهجي في كل عنصر على حدة وتطوير معطياته، أما انعكاسات النتاج العربي محلياً وعالمياً في ضمن النهضة المقارنية فستكون بعرض الجوانب الإبداعية الأخرى ذات الصلة بصورة مساندة.

أما مستوى الاختلاف اللغوي، فإن المقارنية العربية تفيد من مبدأ الموازنة النقدي العريق، وهو مبدأ نقدي يُنضج النتاج العربي بالأصل وينتخب الأقوى فيه، ثم ينفتح على آداب العالم كلها شرقاً وغرباً بلا استثناء، ونشر المعطيات الأدبية العربية بصورة شاملة. ذلك على أن لا تكون العملية المقارنية العربية مشروطة بوجود التأثير والتأثر، فهي تنتج أدباً عربياً تواصلياً مع العالم ويكون ذكر تماثلات ذلك النتاج في الفنون والآداب الأخرى مسانداً لذلك لا مجالاً تحليلياً مقابلاً.

وهنا نقول إن النفع من هذا التوجه يكمن في عملية دفع النتاج العربي في نهضته أدبياً وفنياً ونقدياً بصورة عامة إلى العالم كله، على أن يكون ذلك التوسع في محاور النتاج وإيصاله على آفاق العالم متصلاً ضمن دراسات توضح الصلات الممكنة بين كل مجال، وهذا سيدفع كثيراً من رواد الإبداع والنقد والفكر إلى تلمس مواطن التقارب والتواصل والتكامل إبداعياً مثلاً: بين الرواية والمسرح والسينما، وبين الرسم والشعر والموسيقى، وكل ما يمكن من خلال الإبداع صنعه ونشره متكاملاً. وبعبارة أخرى: تكون الفائدة من هذا

المنهج للمناخ العربي في مجال الإبداع الأولي، بأن يكون المبدعون على اختلاف مشاربهم واعين لأهمية التواصل بين مسارات إبداعهم، وليس بمجال أو مجالين على حساب مجال آخر، وهو ما سيقدم للعالم كله صورة متكاملة بين الفنون والآداب العربية. وهذا كله بالأصل ينسجم مع سياق النهضة الكبيرة، ويقدم فرصاً وإلهاماً لكثير من المبدعين.

المدرسة السلافية

وهي المدرسة التي تمتاز ببعدها الاجتماعي الواضح، وارتباطها الآيديولوجي بالماركسية، ويمكن تأصيل هذه المدرسة من أدبيات الماركسية الأولى، إذ يذكر ماركس وإنجلز في البيان الشيوعي: "وما يقال عن الإنتاج المادي ينطبق أيضاً على الإنتاج الفكري. فثمار النشاط الفكري عند كل أمة تصبح ملكاً مشتركاً لجميع الأمم. ويصبح من المستحيل أكثر فأكثر على أية أمة أن تظل محصورة في أفقها الضيق ومكتفية به. ويتألف من مجموع الآداب القومية والمحلية أدبٌ عالمي".(٢٦) ورغم وجود خلاف حول التسمية، ألا أنها أخذت استقراراً نسبياً متفقاً عليه. (٢٧) وقد "حاولت المدرسة السلافية طرحَ مشروع منهجي مغاير للمقارنة بين الآداب، يقوم على آلية اجتماعية-تاريخية في فهم الظاهرة الأدبية وعوامل إنتاجها وانتقالها، بما يحقق نوعاً من الندية في العلاقات الأدبية التي تقوم بين الأمم، حيث إن الظاهرة الأدبية ناتجة عن سؤال اللحظة الاجتماعية التاريخية المحددة لدى جماعة بشرية محددة وليست ناتجة عن مجرد النقل من أو التأثر بـ أدب أمة أخرى... بعيداً عن تلك التراتبية المغرضة القائمة على مبدأ المرسل الإيجابي والمتلقي السلبي التي تفوح منها روائح عنصرية كريهة".(٢٨)

يرى د. سعيد علوش أن "المدرسة التي تميزت بالفعل هي المدرسة السلافية، وهي مدرسة اشتراكية لأنها حاولت أن تتميز على أساس المنظور

الاجتماعي أو الجدلية الاجتماعية للتطور الاشتراكي، وهذا التميز هو منحى تجديدي بلا شك، ويفتح آفاقاً مقارنية. (٢٩) ومن ثم فنحن نرى على أن الخلفية هي التي كانت تكمن وراء هذه المدرسة، وهي خلفية اجتماعية، تستمد جميع مقوماتها من التطور التاريخي الذي لحق بهذه الدول".(٣٠) وهذا ما يمكن أن يكون بحد ذاته عنصراً صائباً ضمن مجال دراسات الأدب العام. فالفارق الرئيس هو أن "نقطة الارتكاز التي ينطلق منها الأدب المقارن التقليدي هي (الأدب القومي) وما يتلقاه ويعطيه من مؤثرات. وهذا ما لا تجاريه فيه نظرية الأدب الماركسية، فهي أقرب إلى ما يسمى (الأدب العام) منه إلى الأدب المقارن التقليدي".(٣١) فضلاً عن الطموح العالمي الذي يعتمد على نشر القاعدة الفكرية للماركسية، وصولاً إلى اتحاد المجتمعات على تباينها في واقع اقتصادي بالأساس ثم في واقع أدبي عالمي. ونرى أن د. مكارم الغمري تلمح إلى أفضلية (التوازيات) النمطية -فضلاً عن أهمية (التأثيرات) الفرنسية- إذ "تفترض دراسات التوازيات وجود تشابهات هامة في آداب مختلف الشعوب، عند درجات واحدة من التطور الاجتماعي. وملامح هذا التشابه تظهر بغض النظر عن وجود تأثير متبادل أو اتصال مباشر بين هذه الآداب... ودراسات التوازيات... تساعد على التعرف على السمات العامة في الظواهر الأدبية".(٣٢) وهي الظواهر التي يمكن إلى حدٍ ما رصدها اجتماعياً، والإفادة منها بدورها في تعزيز ذلك الواقع المجتمعي ونموه تصاعدياً نحو الأهداف الماركسية. "بيد أن ما يهمنا ويدخل في صلب موضوعنا هنا هو أن النقد الماركسي، بنظريته، أعطى أهميةً قصوى للنظرة الإنسانية الشاملة للأدب. نظرة تتعدى حدود البلاد التي أنتجته. ودعا للنأي به عن القوقعة والتعصب القومي. (٣١) ظهر في هذا المجال المُقارن المجري جورج لوكاتش صاحب نظرية البنيوية العضوية، وفيكتور جيرومنسكي من المدرسة السلافية".(٣٢)

لكن من جهة أخرى، يرى باحث آخر رؤية مغايرة لا تضع أهمية للجانب الاجتماعي ضمن هذا المنهج، إذ يقول: "ويصعب علينا أن نميز خصوصية أو فرادة فيما يدعى بالمدرسة الاشتراكية في الأدب المقارن، لأن هذه المدرسة –إن جاز لنا أن نسميها كذلك– قد تقترب من رؤية المدرسة الفرنسية في بعض منطلقاتها، وربما اقتربتْ من المدرسة الأميركية في منطلقات أخرى لها".(٣٣) لكن الباحث نفسه يعود ليحدد أن الخط العام لها: "يتقيد بدراسة (الأسس الاجتماعية والاقتصادية والأسس الطبقية وتاريخ الحضارة لتجعل من ذلك كله إطاراً للظاهرة الأدبية التي تدرسها)... بيد أن الاستنتاج المهم المستقى من طبيعة هذه الرؤية للأدب المقارن هو أن مفهوم الأدب المقارن يتأثر بالضرورة بالمنطلقات الفكرية والسياسية السائدة، وهو استنتاج قد يقترب من البديهيات والمسلمات".(٣٤) وهنا نتساءل: هل يكون ما يتبناه أحد الباحثين مما ينسبه إلى المفكر إيهاب حسن اقتراباً مباشراً أو غير مباشر من المنهج السلافي؟ ذلك عبر إنكار مبدأ التأثير والتأثر بمسار محدد، إذ يقول إن: "إيهاب حسن لا يشترط ذلك، فالظروف المتماثلة التي تحيط بصاحبي النصين –في رأيه– هي التي تؤدي إلى ظهور بعض الملامح المشتركة في العملين الأدبيين، ولهذا يفرّق الباحث بين التأثير أو ما يسمى بالتجانس وبين التشابه في الوجدان والظروف".(٣٥) وهذا –بلا شك– من مبادئ النظرية السلافية. وهو مبدأ عام، إذ لا يمكن بحال من الأحوال فصل العملية الأدبية عن سياقها الاجتماعي في نشوئها وتلقيها.

إن ما يمكن أن يُستمد من طبيعة هذا المنهج هو أنه متصل بفكر اقتصادي ومعرفي لا ينسجم بالضرورة مع الواقع العربي الذي تسود في مجتمعاته عامة الصلة الدينية (الميتافيزيقية التي ترفضها الماركسية)، وربما تكون عملية البحث عن المتشابهات النمطية أمراً تعسفياً غير واقعي، ولكنها من جهة أخرى، تقدم لنا دفعاً نحو البحث عن مبدأ النمطية والتشابهات العربية الخاصة، وهو ما نجده متحققاً في وحدة اللغة، والأرض، والتاريخ، والدين (بشكل عام)، بما يمنح

الأدب والفن العربيين مجالاً واسعاً للكشف عن التشابهات والتركيز في المزيد من عقد تلك الصلات، بما يستند إلى واقع فكري قومي خاص، ينطلق للبحث عن اختلاف الصورة العربية وتميزها، ذلك رغم أن "المدرسة السلافية في نظر بعض دارسي الأدب المقارن مجرد صفحة مطوية من تاريخ الدرس المقارن أكثر من كونها اليوم تجربة فاعلة ومؤثرة".(٣٦) إذ تمكن الإفادة من بُعدها المنهجي لتحصيل واقع عربي، يتسم بمقدار من التماثلات النمطية المؤدية إلى ترسيخ محاولة بناء مقارنية عربية، تستند إلى شيوع عناصر موحدة وواقعية.

الخاتمة

هيمنت المدارس الثلاث على ساحة الأدب المقارن العالمي لمدة طويلة وبعضها ما يزال رائجاً -المدرسة الفرنسية مثالاً- وبقوة في المنطقة العربية. ويبدو أن تلك الهيمنة ناتجة عن قوة التماسك المنهجي المعزز بالأساس الفكري من جهة، وصلاحية تلك المناهج عامة للتطبيق الدقيق. ولكن من جهة أخرى، يمكن من خلال جمع آراء النقاد العرب في مجال الأدب المقارن أن نستوفي نظرة نقدية تؤسس لمنهجية مقارنية عربية خاصة، ذلك عبر جعل النقد الموجه لكل مدرسة مجالاً تظهر فيه الاقتراحات العربية. ومن الواضح أن المدارس التقليدية محاطة بعدد كبير من اقتراحات التجديد المنهجي عالمياً، ويوضح ذلك ارتباط المحاولات الجديدة بسياقات حديثة ومعاصرة ضاغطة باتجاه تحويل مسار الأدب المقارن نحو ظهور مدارس أخرى.

هوامش البحث ومصادره

١- الأدب المقارن والاتجاهات النقدية الحديثة، د. عبده عبود، مجلة عالم الفكر، مج٢٨، ع١، ١٩٩٩م: ٢٦٧.

٢- الأدب المقارن وصراع الحضارات، د. صبري مسلم: (www.yemeniamerican.com).

٣- آفاق الأدب المقارن عربياً وعالمياً، د. حسام الخطيب: ٦٨.

٤- الأدب المقارن في ضوء التحليل النقدي للخطاب، د. سعيد أراق بن محمد: ٢٧٥.

٥- دراسات أدبية مقارنة، عبد المطلب صالح: ٢٨٤.

٦- الآداب المقارنة، محمد ألتونجي: ٥.

٧- الأدب المقارن، غويار، ترجمة هنري زغيب: ١٥.

٨- وذلك يستند إلى تأثير أدبي فرنسي واسع في الأمم الأوروبية. ينظر: (Jencen, Emeling M, The Influence of French literature on Europe, Richard G. Badger, 1919.).

٩- (Cao, Shunging. The variation theory of Comparative literature, Springer, Berlin, 2013: p12.)

١٠- (Ibid, P10.).

١١- في الأدب المقارن/ مقدمات للتطبيق، د. نجم عبد الله كاظم: ٤.

١٢- النقد الأدبي المقارن في الوطن العربي، د. بومدين جلالي: ٣٠٩. وعلى سبيل المثال لا الحصر نرى نسبة من المقارنين العرب يميلون إلى العمل بالمنهج الفرنسي، خلال هذه المدة الزمنية التي تحددها الدراسة. يُنظر: دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، د. محمد زكي العشماوي: ٢١. الجذور الشرقية للثقافة اليونانية/ دراسة مقارنة بين ملحمة جلجامش وإلياذة هوميروس، د. عفيف فراج: ١٨. الأمثال الأجنبية المقارنة/ دراسة. راشد الكيلاني: ٦. الأدب المقارن/ دراسة تطبيقية في الأدبين العربي والفارسي، د. محمد السعيد جمال الدين: ١٠. أوديب وتجلياته في المسرح العربي، أحمد عبد الرحيم، رسالة ماجستير غير منشورة: ١٢. تأثر الأدباء الفرس بالأدب العربي في القرون الإسلامية الأولى/ الشاعر منوجهري أنموذجا، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، يوسف بوجلة: ١٥٩. دور الأدب المقارن في عالمية الأدب الإسلامي/ دراسة تاريخية وصفية، د. يوسف مسلم أبو العدوس، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، يونيو/ ٢٠١١: ١٦٠. بذور العبث في التراجيديات الإغريقية وأثرها على مسرح العبث المعاصر في الغرب وفي مصر/ دراسة مقارنة، د. نادية البنهاوي: ١٠. رثاء الإمام الحسين في العربية والفارسية والأردية في القرن التاسع عشر/ دراسة مقارنة، د. منى مصطفى. قطاع في تيار التفاعل بين الأدبين الفارسي والعربي بين الفردوسي والهمذاني، د. صلاح الدين الصاوي: ١١. الخيال العلمي في الأدب العربي الحديث في ضوء الدراسات المقارنة، رسالة ماجستير غير

منشورة، محمد عبد الله الياسين، المشرف د. غسان مرتضى: ٢٦٢. العولمة والأدب المقارن، د. وحيد موافي: ١٦٧. الأبعاد الدرامية في السير الملحمية الدينية/ دراسة مقارنة بين الجمعة الحزينة والتعازي الحسينية، د. فاروق أوهان: ١٧، ٢٧. الأدب المقارن/ حوارية الأمم والقوميات، محمد حسين عبد الرزاق، مجلة المنهاج، ع٣٥، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م: ٢١٥، ٢٢٧. التأثيرات الأجنبية في أدب مالك حداد، صليحة بردي، رسالة ماجستير، المشرف د. عبد القادر توزان، جامعة حسيبة بن بو علي بالشلف، الجزائر، ٢٠١١/ ٢٠١٢: الصفحة ز-ح من المقدمة. الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، د. محمد عباسة: ٦. دراسة صورة فاوست في مسرحية حامد إبراهيم: فاوست الجديد، ومسرحية محمد سالم: عقد مع الشيطان، في ضوء الأدب المقارن، د. نضال موسى الموسى، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، ع٦٣، ١٩٩٨م: ١٨٣. (زعبلاوي) لنجيب محفوظ و(بغية الكاتب) لجورج مور/ دراسة نقدية مقارنة، عماد علي الخطيب، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، ع٨٤، ٢٠٠٣م: ١٠٥. أثر الفكر العربي والإسلامي في الآداب الأوروبية، د. داوود سلوم: ٦. الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق، د. إبراهيم عبد الرحمن: ٣. في الأدب المقارن، د. محمد حبلص: ٩. الأدب المقارن/ نماذج تطبيقية عالمية عربية فارسية، د. عباس العباسي: ٣١. في الأدب المقارن/ وصيةٌ إلى حبيب، عبد الصبور الكاشف، مجلة الأزهر، ج٥، ١٩٩١: ٥٧٤. مع الأدب المقارن/ بواكير الحصاد في مصر، أحمد مصطفى حافظ، مجلة الأزهر، ج٧، ١٩٩٢: ٨٣٦. في رحاب الأدب المقارن/ الطفولة في مرآة الشعراء، محمد عبد الوهاب جنيدي، مجلة الأزهر، ج١، ١٩٩٢: ١٠٧. الحب/ أدب مقارن، محمد غازي التدمري، مجلة المعرفة، ع٣٤١، ١٩٩٢: ٨٨. قضية التأثير والتأثر في اتجاهي التاريخ والجدل للأدب المقارن/ دراسة مقارنة، عبد الجليل: (www.nidaulhind.com). أثر ألف ليلة وليلة في روايات الحب والمغامرات الفرنسية في القرن الثامن عشر، د. شريفي عبد الواحد، مجلة الآداب الأجنبية، ع١٠٥، ٢٠٠١: ١٩. تأثر الأدباء الفرس بالأدب العربي في القرون الإسلامية الأولى/ الشاعر منوجهري أنموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، يوسف بوجلة: ٩٢ وما بعدها، ١٥٩، ١٦٠. هجرات الأساطير/ مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، د. عبد الله الفيفي. التأثر والتأثير بين التراث الشرقي والعربي والتراث اليوناني/ حصان طروادة أنموذجاً، د. داوود سلوم ود. حسن الربابعة: ٥. في الأدب

المقارن/ النظرية والتطبيق، د. آمال يوسف ود. شرين عبده. تأثير أدجار الآن بو في الأدب العربي الحديث، د. هاني إسماعيل رمضان: ٧. الفقراء في أدب دوستويفسكي ونعيمة، فدوى كرمو علي، رسالة ماجستير غير منشور، المشرف: د. ممدوح أبو الوي: ٩. بحوث في الأدب المقارن، د. رفعت زكي عفيفي: ٣. الأدب المقارن، طلعت صبح السيد: من المقدمة. ظلال وأصداء أندلسية في الأدب المعاصر، د. إبراهيم خليل، اتحاد الكتّاب العرب، سورية، ط١، ٢٠٠٠م. مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، د. ماجدة حمود: ٧. صلات الأدب العربي بالآداب الشرقية والغربية، د. عبد الحكيم حسان: ٣٣-٣٤. شعر جيل البتنكس الأميركي وشعر جيل الستينيات العراقي/ دراسةٌ نقدية مقارنة، مهند طارق نجم، أطروحة دكتوراة غير منشورة، المشرف د. خالد سهر، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٢: ٣. من آفاق الأدب المقارن، د. داوود سلوم: ٣٦٢- ٣٦٣. وينظر منه: ٣٧١- ٣٧٢.

١٣- الأدب المقارن مفهومه ومدارسه، دوزي سارة، رسالة ماجستير غير منشورة، المشرف الأستاذ بلقاسم محمد: ٦٥. وينظر: دراسات أدبية مقارنة، عبد المطلب صالح: ١٠- ١١. وينظر منه أيضاً رده على موقف رينيه ويليك: ٨٠. ويُنظر: ملامح يونانية في الأدب العربي، د. إحسان عباس: ٢٠٦. يرى د. عز الدين المناصرة أن منهج د. إحسان عباس تأليف بين المنهجين الفرنسي والأمريكي. ينظر: علم التناص والتلاص/ نحو منهج عنكبوتي تفاعلي، د. عز الدين المناصرة: ٢٤٨.

١٤- مدارس الأدب المقارن: المدرسة الفرنسية ونقدها، د. عبد النبي اصطيف، مجلة المعرفة، ع٥٠١، ٢٠٠٥: ٨٥-٨٦. ١٥- الدراسات الأدبية العربية المقارنة، د. الرشيد بشير بوشعير، مجلة (عالم الفكر)، الكويت، ع٢، مج٣١، ٢٠٠٢م: ١٩٣- ١٩٤. ويُنظر: من آفاق الأدب المقارن، د. داوود سلوم: ٥. الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق، د. إبراهيم عبد الرحمن: ٩.

١٦- الدراسات الأدبية العربية المقارنة، د. الرشيد بشير بوشعير، مجلة (عالم الفكر)، الكويت، ع٢، مج٣١، ٢٠٠٢م: ١٩٤.

١٧- الأدب المقارن، كلود بيشوا وأندريه روسو، ترجمة د. أحمد عبد العزيز: ٢٣. والمقصود كتاب (الأدب المقارن) لفان تيغم، وقد صدر عام ١٩٣١. وجدير بالتنويه أن مؤلفي هذا الكتاب يقدمانه تجديداً أمام كل ما سبق من جهود فرنسية وأمريكية. ينظر: المصدر نفسه: ١٣ وما بعدها.

١٨- نظرية الأدب، رينيه ويليك وأوستن وارين، ترجمة د. عادل سلامة: ٧١.

١٩- (Wellek, René. The crisis of comparative literature, published in: Damrocsh, David. The Princeton sourcebook in comparative literature, Princeton Univ. Press, UK. 2009, P171. See: Cao, Shunging. The variation theory of Comparative literature, Springer, Berlin, 2013: PP 25-27).

٢٠- في الأدب المقارن، د. عزة هيكل: ٩.

٢١- ثنائيات مقارنة/ أبحاث ودراسات في الأدب المقارن، د. ضياء خضير: ٥- ٦. وعلى سبيل المثال لا الحصر نرى نسبة من المقارنين العرب يميلون إلى العمل بالمنهج الأمريكي، ينظر: محمد غنيمي هلال وجهوده في الأدب المقارن والنقد الأدبي، همام عبد اللطيف، مجلة فصول، ع٧٠، ٢٠٠٧: ٣٨٦. التأثيرات الأجنبية في أدب مالك حداد، صليحة بردي، رسالة ماجستير، المشرف د. عبد القادر توزان، جامعة حسيبة بن بو علي بالشلف، الجزائر، ٢٠١١/ ٢٠١٢: الصفحة ز-ح من المقدمة. الأدب المقارن، مجدي وهبة: ٣- ٤. نحو دراسة مقارنة لمدرسة الديوان بين العقاد وهَيني ٢، أحمد مصطفى حافظ، مجلة الأزهر، ج٨، ١٩٩٢: ٩٦١. المعري والخيام/ نظرة مقارنة، هيلانة عطا الله، مجلة المعرفة، ع٣٨٩: ٢٢٢. من الترجمة إلى التأثير/ دراسات في الأدب المقارن، أحمد صالح الطامي: ١٢٠- ١٢١. الأندلس بين شوقي وإقبال، د. حسين مجيب المصري: ٥٣. الفقراء في أدب دوستويفسكي ونعيمة، فدوى كرمو علي، رسالة ماجستير غير منشورة، المشرف: د. ممدوح أبو الوي: ٩. مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، د. ماجدة حمود: ٧. فصول في الأدب المقارن والترجمة، د. إبراهيم عوض: ١٧. شعر جيل البتنكس الأميركي وشعر جيل الستينيات العراقي/ دراسةٌ نقدية مقارنة، مهند طارق نجم، أطروحة دكتوراة غير منشورة، المشرف د. خالد سهر، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٢: ٣.

٢٢- الأدب المقارن من منظور الأدب العربي/ مقدمة وتطبيق، د. عبد الحميد إبراهيم: ١٤.

٢٣- مقاربة الآخر/ مقارنات أدبية، د. سعد البازعي: ٩. وينظر: بنية خطاب المرأة في أعمال كوليت خوري الإبداعية في ضوء الدراسات المقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، سلوى عدنان الحصني، المشرف د. راتب سكر: ٥.

٢٤- ظ: دراسات في الأدب المقارن، د. فوزي عيسى ود. محمد المكي: ٣.

٢٥- الدراسات الأدبية المقارنة في العالم العربي، د. علي عشري زايد: ٣٠- ٣١. وكذلك، ينظر منه: ٨٧.

٢٦- بيان الحزب الشيوعي، ماركس وأنجلز: ٤٢.

٢٧- "إن القاسم المشترك بينهم هو الأسس النظرية والمنهجية التي ينطلقون منها في دراساتهم المقارنة، وهي أسس لا علاقة لها بانتمائهم إلى العرق السلافي، ولها كل العلاقة بانتمائهم إلى الفلسفة الماركسية أي المادية الجدلية، ولهذا فإن تسمية المدرسة السلافية هي تسمية غير صائبة". الأدب المقارن والاتجاهات النقدية الحديثة، د. عبده عبود، مجلة عالم الفكر، مج٢٨، ع١، ١٩٩٩م: ٢٨٥. وهو يقترح تسميتها بالمدرسة المادية أو الجدلية. ينظر: الأدب المقارن/ مشكلات وآفاق، د. عبده عبود: ٤٨.

٢٨- المثاقفة وسؤال الهوية/ مساهمة في نظرية الأدب المقارن، د. صلاح السروي: ٢١. وينظر: (Enani, M. M. The Comparative Tone, State Publishing House, Egypt, PP 50-51.).

٢٩- "فتح الدرس المقارن في أمريكا والمدرسة السلافية المقابلة الباب واسعاً نحو مناهج ورؤى أخرى للنظر في العلاقات القائمة بين الآداب والثقافات القومية المختلفة، وتجاوز الطابع المسرف لأحاديثه النظرَ والنوازعَ القومية الضيقة". ثنائيات مقارنة/ أبحاث ودراسات في الأدب المقارن، د. ضياء خضير: ٨.

٣٠- الميثاق الوطني تحاور الباحث المغربي الدكتور سعيد علوش، حوار منشور: (www.saidallouch.net).

٣١- الأدب المقارن والاتجاهات النقدية الحديثة، د. عبده عبود، مجلة عالم الفكر، مج٢٨، ع١، ١٩٩٩م: ٢٨٣. "إن الأدب المقارن كثيرا ما تتشابك مسالكه مع مسالك الأدب العام". الأدب المقارن، مجدي وهبة: ٣٩.

٣٢- مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، د. مكارم الغمري: ١٧- ١٨. وينظر: المدرسة السلافية والأدب المقارن، د. عبد النبي اصطيف، مجلة الموقف الأدبي، ع٤٣٣، ٢٠٠٧: ٧-٨.

٣٣- "ومن ثم نلاحظ أن المدرسة السلافية لا تتخلى عن التشديد على الخصوصية الوطنية". الأدب المقارن/ نماذج تطبيقية عالمية عربية فارسية، د. عباس العباسي: ٢٢.

٣٤- الأدب المقارن/ الواقع وآفاق المستقبل، د. بابكر علي ديومة: (www.professor-babikir-dayoma.com).

٣٥- الأدب المقـــــارن وصـــــراع الحضـــــارات، د. صـــــبري مســـــلم: (www.yemeniamerican.com).
٣٦- المصدر نفسه.
٣٧- اليانصيب بين أنطون تشيكوف ومحمود سيف الدين الإيراني، د. إبراهيم خليل، مجلة عالم الفكر، مج٢٨، ع١، الكويت، ١٩٩٩م: ٣٧٩.
٣٨- المدرسة السلافية والأدب المقارن، د. عبد النبي اصطيف، مجلة الموقف الأدبي، ع٤٣٣، ٢٠٠٧: ٦.